كتب الغريب

وأثرها في فهم القرآن

تفسير غريب القرآن لابن قتيبة أنموذجاً

إعداد

د/ راشد بن حمود بن راشد الثنيان

أستاذ القرآن وعلومه المشارك بقسم الدراسات الإسلامية

كلية التربية بالزلفي – جامعة المجمعة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

فالقرآن الكريم أعظم المعجزات التي أيد الله عز وجل بها نبيه صلى الله عليه وسلم، وتحدى بها بلغاء العرب، وجعلها باقية إلى يوم القيامة، فألفاظه أحسن الألفاظ وتراكيبه أعلى التراكيب، ولذا كان اهتمام العلماء بدراسة الألفاظ غير محدود بياناً وإعراباً وتفسيراً وتوضيحاً منذ بدأت الكتابة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وإلى يومنا هذا وهي في نمو وتطور ولن يتوقف ما دام العلماء يبحثون ويحققون فهم يجددون العلوم من وقت لآخر، وقد كان لدراسة غريب القرآن -بهذا المصطلح- عناية خاصة منذ القرن الثاني الهجري، فتنوعت طرق التأليف فيها، وكثُرت لحاجة الناس للبيان، وهذه الألفاظ المبحوثة في كتب الغريب هي أساس التفسير، ومنها ينطلق المفسر إلى بيان معاني القرآن الأخرى.

وطبيعة كتب الغريب في بداية ظهورها الاقتصار على الألفاظ الغريبة فحسب؛ ولذا جاءت الألفاظ المفسرة في الكتب المتقدمة قليلة معدودة كغريب القرآن لابن قتيبة (ت:٢٧٦هـ) وغريب القرآن للسجستاني (ت: ٣٣٠هـ)، وإذا كانت مسائل نافع بن الأزرق (ت: ٦٥هـ) نواة لجمع الغريب القرآني واستعمالات العرب لهذه الألفاظ -فكان نافع يسأل وابن عباس رضي الله عنهما يجيب بذكر استعمال العرب للفظ فيقول: أما سمعت قول الشاعر! مع أن هذه المسائل وردت بطرق ضعيفة[1]، ولم تكن هذه طريقة ابن عباس في التفسير- ففي هذه المسائل فوائد كثيرة في التفسير اللغوي، ولا يلزم من الاستفادة منها -لصحتها لغوياً- صحة نسبتها إلى ابن عباس رضي الله عنهما[2].

---

(١) مسائل نافع بن الأزرق كما ذكر المحقق محمد أحمد الدالي ص٩-١٠.

(٢) ينظر: التفسير اللغوي للقرآن الكريم أ.د مساعد الطيار وقد ذكر وقوفه على أسانيد رواية نافع بن الأزرق وكلها من طرق غير مرضية ص٣٣٠-٣٣١.

وكلما تباعد الزمن وتنوعت اللهجات وازدادت العجمة، احتاج تلقي القرآن إلى زيادة فهم وتفسير، لذا توسع المؤلفون في تفسير الألفاظ حتى بلغت كل ألفاظ القرآن دون استثناء كما في مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني (ت:٥٠٢هـ)، وعمدة الحفاظ للسمين الحلبي (ت:٧٥٦هـ)، ولعل هذا مراعاة لحاجة الناس عموماً ولغير العرب خصيصاً.

وهنا تأتي أهمية البحث في دور هذه الكتب في فهم القرآن، وفي هذا البحث سأنظر وأتأمل في كتب غريب القرآن مركزاً على جانب أثرها في فهم القرآن وأكتب ما ييسر الله تحت عنوان: (كتب الغريب وأثرها في فهم القرآن)، وقد اخترت كتاب ابن قتيبة (ت:٢٧٦هـ) ليكون أنموذجاً للدراسة في هذا البحث.

سائلاً الله تعالى التوفيق والتسديد والإعانة.

أهداف البحث:

١ـ الاطلاع على جملة من كتب غريب القرآن وتسطير أثرها في فهم القرآن.

٢ـ معرفة مناهج كتب غريب القرآن، وطرق الاستفادة منها.

٣ـ دراسة نموذج من كتب الغريب جمع بين التقدم والاعتدال، وهو كتاب تفسير غريب القرآن لابن قتيبة.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والسؤال عن البحوث في كتب الغريب تبين لي أنه لم يبحث جانب أثر كتب الغريب في فهم القرآن، بل بحثت من جانب مناهجها أو حصرها، ومن ذلك:

١ـ بحث بعنوان: معاجم غريب القرآن مناهجها-أنواعها. للدكتور عوض بن حمد القوزي، نشر في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد (٧٨) الجزء (٤) في (٣٠) صفحة، تناول فيها نشأة التأليف في غريب القرآن ومناهج المؤلفين فيها.

ولم يتطرق لأثرها في فهم القرآن، وهو هدفي الأول في هذا البحث.

٢ـ بحث بعنوان: معاجم معاني ألفاظ القرآن الكريم. لـ أ.د. فوزي يوسف الهابط، قدم في ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه، في (٤٤) صفحة، تناول

فيها الدكتور هدفه من البحث وهو: (محاولة الاطّلاع على كل ما قيل في غريب القـرآن، وجمع عناوين كل ما أُلف في هذا المجال؛ لأحصر معالمه، وأقف على حركة التأليف فيه).

ولم يتطرق لأثر كتب الغريب في فهم القرآن مما يدل على الجدة في هذا البحث وهـو مـا دفعني وشجعني للكتابة فيه، أسأل الله التوفيق.

خطة البحث:

المقدمة .

المبحث الأول: أثر كتب الغريب في فهم القرآن.

المطلب الأول: نشأة كتب غريب القرآن.

المطلب الثاني: مناهج كتب الغريب مع النص القرآني.

المطلب الثالث: فهم القرآن من كتب الغريب.

المبحث الثاني: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة.

المطلب الأول: مصادره في فهم القرآن.

المطلب الثاني: تقسميه وطريقته.

المطلب الثالث: أثره في فهم القرآن.

الخاتمة.

ثبت المراجع.

فهرس الموضوعات.

منهج البحث:

سأتبع في هذا البحث منهج الاستقراء والتحليل في كتب غريب القرآن للوصول إلى أثرها وتأثيرها في فهم القرآن مستعيناً بالله.

المبحث الأول

أثر كتب الغريب في فهم القرآن

المطلب الأول

نشأة كتب غريب القرآن

نشأت كتب غريب القرآن في زمن مبكر وكانت سبباً في نشأة معاجم اللغة العربية لأنها تهدف جميعاً ألا يبقى في القرآن لفظ غير واضح.

١ــ وقد بدأ علم الغريب في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وقت نزول القرآن حيث كان الصحابة رضوان الله عليهم يسألون النبي صلى الله عليه وسلم عما أشكل عليهم من ألفاظ القرآن، كسؤالهم عن الزيادة في قوله تعالى: [لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ] {يونس:٢٦} فأجاب بأنها النظر إلى وجه الله تعالى[١].

وسؤالهم عن الظلم في قوله تعالى: [الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ] {الأنعام:٨٢}، فقالوا: يا رسول الله، وأيُّنا لا يظلم نفسه؟ فقال: "إنه ليس كما تعنون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: [يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ] {لقمان:١٣} ؟ إنما هو الشرك"[٢].

وكانت أسئلتهم للرسول صلى الله عليه وسلم قليلة محدودة لقوة عربيتهم وتماسك لغتهم.

٢ــ ثم استمرت أقوال كبار الصحابة رضوان الله عليهم في الإجابة على الغريب مستعينين بالشعر وكلام العرب ولغتهم المتينة التي نشؤوا عليها وتنزل بها القرآن، كما في إجابات ابن عباس رضي الله عنهما التي صحت حسب الأسانيد المذكورة عنه.

---

(١) أخرجه مسلم كتاب الإيمان باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى ١/ ١٦٣ (١٨١)، وانظر: تفسير القرطبي ٣٠٦/٨، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٦٣/٤.

(٢) أخرجه البخاري كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله تعالى: [وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا] {النساء:١٢٥} ٤/ ١٧١ (٣٣٦٠)، ومسلم كتاب الإيمان باب صدق الإيمان وإخلاصه ١١٤/١ (١٩٧)، وأخرجه الطبري في تفسيره ٤٩٦/١١.

ومن أصحها صحيفة علي بن أبي طلحة التي قال فيها الإمام أحمد بن حنبل: (بمصر صحيفة -في التفسير- رواها علي بن أبي طلحة، لو رَحَل رجل فيها إلى مصر -قاصداً- ما كان كثيراً)[١].

وقال عنها السيوطي: (إنها من أصح الطرق عن ابن عباس، وعليها اعتمد البخاري -في صحيحه- مرتباً على السور)[٢].

وفيها بيان كثير لغريب القرآن مع اشتمالها على غيره.

يقول الطبري بسنده عن ابن أبي مليكة (ت: ١١٩هـ)[٣] قال: (رأيت مجاهداً يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه ألواحه فيقول له ابن عباس: اكتب. قال: حتى كتب التفسير كله)[٤].

فهذه كتابة للغريب وغيره.

٣ـ ثم تتابعت التآليف في غريب القرآن وتوسعت أكثر وأكثر حسب الحاجة إلى البيان؛ وكلما زادت العجمة وابتعد الناس عن الزمن الأول قلّت المعرفة بقوة اللفظ العربي كما نزل، ولا زال العلماء والمؤلفون يقومون بواجبهم ويبذلون جهودهم تجاه استقراء الألفاظ القرآنية وبيان ما تحتمله من المعاني وتوضيح ما يحتاج إلى توضيح، فصارت المكتبة تزخر بأنواع المؤلفات والتفاسير، وكتب الغريب خاصة[٥] وكل ما يتعلق بخدمة القرآن.

---

(١) ميزان الاعتدال في نقد الرجال ٣/١٣٤، وانظر: والتفسير والمفسرون للذهبي ٢/ ١٨.

(٢) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٢/ ٥.

(٣) ابن أبي مليكة هو عبدالله بن عبيدالله التميمي أحد أعلام التابعين رأى ثمانين من أصحاب النبي ﷺ وكان من أصحاب ابن عباس ﷺ، فهو من أقران مجاهد بن جبر.

(٤) تفسير الطبري ١/ ٦٥ أثر رقم (١٠٧)، وانظر: مقدمة أصول التفسير ابن تيمية ص ٢٨.

(٥) ذكر أ.د. فوزي يوسف الهابط (١١٧) كتاباً ألفت في غريب القرآن وسردها في بحثه الذي قدم في ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه.

المطلب الثاني

مناهج كتب الغريب مع النص القرآني

الكلام على وجه العموم لا يخلو من ضربين:

الأول: كلام واضح بيّن؛ وهذا لا يحتاج إلى تفسير لوضوحه لكل عربي.

الثاني: كلام غريب لا يفهم في أول وهلة؛ وهو الذي يحتاج إلى توضيح لغرابته النسبية على بعض العرب وهذه الغرابة في الألفاظ جاءت في الشعر وكلام العرب، وفي الحديث وفي القرآن ولكن الغرابة قليلة فيهما.

وهذا النوع يحتاج إلى معرفة واسعة في العربية، لا سيما ولغات العرب كثيرة، مع أن في القرآن ألفاظاً غير عربية وافقت العربية، وكتب غريب القرآن تبين هذا وغيره، وقد اهتم العلماء في غريب القرآن في زمن متقدم، وقد بدأ ظهوره في آخر القرن الثاني، حتى بلغت المؤلفات فيه عدداً كبيراً تجاوزت المائة كتاب اختلفت فيها مناهجهم وأساليبهم، وفي هذا المطلب سأتناول طرق كتب الغريب مع اللفظ القرآني من عدة جوانب كما يلي:

أولاً: مناهجها من حيث ترتيب الألفاظ في التفسير:

تنوعت كتب التأليف في الغريب من حيث ترتيب الألفاظ حسب مناهج منها:

الأول: تفسير الألفاظ حسب الحاجة دون ترتيب معين، لعدم قصد التأليف، كما في الإجابات الأولى في عهد النبي صلى الله عليه وسلم في تفسيره للظلم بالشرك في قوله تعالى: [الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ] {الأنعام:٨٢}[1].

وكما في أجوبة ابن عباس رضى الله عنهما، حيث فسر الألفاظ حسب ورود السؤال؛ ولذا جاءت التفسيرات في سورة قليلة وأخرى كثيرة ثم تم ترتيبها حسب السور من كاتب الصحيفة ولذا تنسب إليه، وتنسب الأقوال لابن عباس رضى الله عنهما.

الثاني: لما قصد العلماء التأليف في الغريب سلكوا طرقاً مختلفة في ترتيب الألفاظ وهي كالآتي:

---

(١) سبق تخريجه ص ٥.

٢ــ الترتيب على حسب ترتيب الآيات والسور، فيبدأ بكمات سورة الفاتحة ثم سورة البقرة وهكذا حتى ينتهي بكلمات سورة الناس، وقد سارت أكثر كتب الغريب على هذه الطريقة، ومنها:

أ ــ تفسير غريب القرآن المجيد للإمام أبي الحسين زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب العلوي الهاشمي (ت: ١٢٢هـ)، حققه ورتبه: د. محمد يوسف الدين، الجامعة العثمانية سابقاً، ومنهجه بيان المعنى ثم ذكر الشاهد اللغوي له من الشعر غالباً، ويستدل بالنظائر من القرآن في تفسير الآية، ويهتم بالأساليب البلاغية.

ب ــ غريب القرآن وتفسيره لأبي عبد الرحمن عبد الله بن يحيى بن المبارك اليزيدي (ت: ٢٣٧هـ)، ومنهجه: تقديم التفسير اللغوي للمعنى الغريب، وأبنية الكلمة وأصلها اللغوي ثم الاستشهاد أحياناً بالقرآن وأخرى بالحديث وبالشعر أحياناً أخرى أو بما روي من كلام العرب على اختلاف الأساليب.

ج ــ تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ت: ٢٧٦هـ)، وسيأتي الكلام عنه.

وهذه الطريقة هي أفضل الطرق لسهولة الرجوع إلى الكلمات الغريبة في السورة الواحدة في مكان واحد وهذا بالنسبة لحفاظ القرآن، أما غير الحافظ فسيصعب عليه كثيراً ويحتاج إلى الطرق الأخرى.

٤ــ ترتيب الألفاظ على حسب الحروف الهجائية، فيبدأ بحرف الهمزة ثم بحرف الباء وهكذا إلى باب الياء، وممن سلك هذا المنهج من كتب الغريب:

أ ــ مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ)، وقد توسع كثيراً في عرض الكلمات ولو لم تكن غريبة، ورتبها حسب الحروف الهجائية كل حرف سماه كتاباً ثم رتبها داخل الحرف حسب ترتيب الحرف الأول ثم الثاني ثم الثالث وهكذا.

ب ــ عمدة الحفاظ للسمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ) كذلك، واستدرك على الراغب بعض الكلمات وأخذ عليه أنه أغفلها.

وفي هذه الطريقة ميزات منها: جمع النظائر في موضع واحد، ومعرفة الكلمات التي من أصل أو أكثر من أصل، ومن الأمثلة قوله تعالى: [وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ]

{التَّكوير:٨}، وقوله تعالى: [وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ العَلِيُّ العَظِيمُ] {البقرة:٢٥٥}، وقوله تعالى: [وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ] {ص:١٧} الموؤودة، يؤوده، الأيد، الكتب المرتبة على الألفبائية هي التي تبين هل هذه الألفاظ من أصل واحد أو مختلف؟[١].

٥ــ ترتيب الألفاظ حسب الحرف الأول، ثم الحرف الأخير، وهذه الطريقة قريبة من السابقة لكن هنا لم يراع الحروف الوسطى للكلمة، وقد سلك هذه الطريقة أبو حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ) في كتابه: تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، فبدأ بحرف الهمزة بهذا الترتيب: أبب، أرب، أوب، ألت، أمت، أثث... إلى أن وصل إلى: ألي، ألو، أسي، أيي، أنا، أوي، أني، ثم حرف الباء وهكذا. وهذا الترتيب لم يفعله أحد غيره فيما اطلعت عليه.

٦ــ ترتيب الألفاظ حسب الحرف الأخير ثم حسب الحرف الأول، كما في كتاب الصحاح للجوهري، حيث قسم الكتاب إلى أبواب حسب أواخر الكلمات ثم قسم كل باب إلى فصول حسب أوائل الكلمات، وقد سلك هذه الطريقة الفخر الرازي (ت: ٦٦٦هـ) في كتابه: روضة الفصاحة في غريب القرآن؛ فقد رتبه حسب نظام مدرسة القافية المعجمية؛ فجعل الحرف الأخير باباً، والأول فصلاً، وضم فيه شيئاً من الإعراب، والمعاني[٢]. ولم يسلك هذا الترتيب أحد ممن ألف في الغريب غيره مع صعوبة الوصول إلى الكلمة لغير المتمرس على كتب المعاجم التي سلكت هذا المنهج.

٧ــ ترتيب الألفاظ حسب الحروف الهجائية فيبدأ بالألف ثم الباء، مع اعتماده في الترتيب على الحركات، فيبدأ بالمفتوح فالمضموم فالمكسور، وهذا فيه تفريق للكلمة الواحدة لاختلاف أولها في الحركات، وهذا يشتت الباحث في الوصول إلى بغيته. وهو ما سلكه ابن عُزَيْز السجستاني في كتابه: غريب القرآن الذي لقي عناية كبيرة من المتقدمين وثناء منهم، ولكن يعسر الوصول إلى الكلمة بسبب طريقته التي سار عليها، ولا أعرف أحداً غيره سلك هذه الطريقة.

---

(١) انظر: مفردات ألفاظ القرآن ص ١٠٠.

(٢) انظر: كشف الظنون ١٢٠٨/٢، والأعلام ٥٥/٦، ومعجم المؤلفين ١١٢/٩، والمعجم العربي ٤٥/١.

ثانياً: مناهجها من حيث بيان معنى اللفظ الغريب:

اختلفت كتب التأليف في الغريب في طريقة بيان المعنى الغريب على مناهج منها:

١ــ المنهج المعجمي، وهذه الكتب اهتمت بتفسير اللفظة بعد تجريدها من الزوائد كما في المعاجم، ومثاله: كتاب مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ).

٢ــ المنهج السياقي، والمراد اهتمام المؤلف ببيان معنى اللفظة حسب سياق الآية مع الاهتمام مع الإشارة إلى مواضع الوقف والابتداء الصحيح[1]، ومثاله: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ت:٢٧٦هـ).

٣ــ المنهج التفسيري، والمراد تناول جميع ما يتعلق بمعنى اللفظ من مباحث اللغة سواء في النحو أو الصرف وما يتعلق بالقراءات والشواهد ونحوها، وهذا يظهر جلياً في كتب معاني القرآن للفراء (ت: ٢٠٧هـ) والأخفش (ت: ٢١٥هـ)، ونحوها.

٤ــ منهج الاختصار في بيان المعنى، فيذكر الكلمة ومعناها دون أي تفاصيل، وهذا مثل كتاب تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب لأبي حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ).

٥ــ منهج الإطالة، فيذكر اللفظ ومعناه وما يتعلق به مع ذكر النظائر والشواهد وغيرها حتى صار كالموسوعة الصغيرة، ويتمثل هذا في كتاب: مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ).

٦ــ منهج التوسط بينهما، ويتجلى هذا في كتاب: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ت: ٢٧٦هـ)، وسيأتي الحديث عنه بشكل أوسع.

---

(١) تفسير غريب القرآن ص٤٠.

المطلب الثالث

فهم القرآن من كتب الغريب

من مقاصد إنزال القرآن فهمه وتدبره والعمل بما فيه، وفهم الغريب هو أول وسائل هـذا المقصد العظيم.

ولذا تظهر أهمية معرفة غريب القرآن لفهمه في أمور كثيرة منها:

١ـ أنه يتوقف فهم القرآن وتدبره وإدراك معانيه في أقل شيء منه على معرفة غريبه.

٢ـ أنه يجب على المفسر معرفة غريب اللغة، بل عده العلماء شرطاً من شروط المفسر التي لا يقبل تفسيره إلا بتوافرها.

قال مالك بن أنس رحمه الله: (لا أوتى برجل يفسر كتاب الله غير عالم بلغة العرب إلا جعلته نكالاً)[١].

وقال الزركشي: (لا يحل الإقدام على تفسير كتاب الله تعالى دون معرفة هذا الفن)[٢].

٣ـ أن عدم معرفة غريب القرآن سبب للوقوع في الوهم والخطأ في التفسير، وهذا في كثير من الألفاظ.

-كما في قوله تعالى: [الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ] {الماعون:٥} سُئِل أبو العالية عنها: فقال: هو الذي ينصرف عن صلاته ولا يدري عن شفع أو وتر، فقال الحسن: مه يا أبا العالية، بل الذين سهو حتى تفوتهم، ألا ترى قوله: (عن صلاتهم). قال الزركشي: (لو كان المراد ما فهم أبو العالية لقال: (في صلاتهم)[٣].

- وكذلك لفظ: [يعش] في قوله تعالى: [وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ] {الزُّخرف:٣٦} رجح ابن قتيبة أنه من عشوت أعشو عشواً إذا نظرت، ولم ير أحداً يجيز أنه من عشوت عن الشيء إذا أعرضت عنه[٤].

---

(١) البرهان للزركشي ٢/ ٣٦٨.

(٢) البرهان ٢/ ٣٦٧.

(٣) البرهان ٢/ ٣٦٩.

(٤) تفسير غريب القرآن ص ٣٩٧، ٣٩٨.

قال الزركشي: (وغلطوه -يعني ابن قتيبة- وإنما معناه: يعرضُ، إذ لم يفرق بين عشوت إليه وعشوت عنه)[١].

٤ـ أن السلف رحمهم الله كانوا يتهيبون القول في الغريب لخطورة التساهل فيه دون علم، كما حصل لأبي بكر الصديق رضي الله عنه لما سُئل عن الأبّ فقال: (أيُّ سماء تظلني وأي أرضٍ تقلني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم، وقرأ عمر سورة عبس فلما بلغ الأب، قال: الفاكهة قد عرفناها فما الأب؟ ثم قال: لعمرك إن هذا لهو التكلف)[٢]. فهما رضي الله عنهما لم يتجرءا على المعنى مع أنهما عربيان فصيحان ومرادهم -والله أعلم- التخويف من الجرأة على كلام الله بلا علم.

قال مجاهد رحمه الله: (لا يحل لأحد-يُؤمن بالله واليوم الآخر- أن يتكلم في كتاب الله، إذا لم يكن عالماً بلغات العرب)[٣].

وعن سعيد بن جبير في قوله: [وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا] {مريم:١٣} فقال: سألت عنها ابن عباس فلم يجب شيئاً، وفي رواية أن ابن عباس قال: لا والله ما أدري ما حناناً)[٤].

وهذا التوقف من كبار الصحابة عن تفسير هذه الألفاظ لكونها غريبة على في لهجتهم، وإن كانت واضحة عند أصحاب لهجات أخرى.

ورغم ما أشرت إليه من أهمية معرفة الغريب إلا أنه لا بد من معرفة تفاوت النظرة بين الألفاظ عند علماء اللغة والتفسير في عدها من الغريب أو ليس كذلك.

ولذا تفاوتت مناهج الكتب المؤلفة في الغريب وعدد الكلمات حسب رأي المؤلف أنها من الغريب أو لا، فجاء بعضها صغيراً محدود الألفاظ وبعضها متوسعاً.

والسبب في هذا التفاوت أن الغرابة والوضوح أمران نسبيان، فما كان غريباً عند أحد قد يكون واضحاً عند الآخر.

---

(١) البرهان ٢/ ٣٧٠.

(٢) البرهان ٢/ ٣٧١.

(٣) البرهان ٢/ ٣٦٨.

(٤) الإتقان للسيوطي ٢/ ٣١٤.

وعليه؛ فلا يلام أحد على إغفاله بعض ألفاظ الغريب عند غيره[1].

ولهذا نستطيع القول بأن لكتب الغريب الأثر الكبير في فهم القرآن لما يلي:

١ــ أن كتب الغريب اشتملت على نسبة كبيرة من الكلمات التي تخفى معانيها على غالب قراء القرآن الكريم.

٢ــ أن ضبط هذه الكلمات الغريبة وسيلة مهمة لفهم عامة كلمات القرآن وربطها ببعض، وذلك عند من يفسر الألفاظ بحسب سياق الآيات خصيصاً.

٣ــ أن كتب الغريب والمعاني وإن كانت لا تذكر جميع ما يتعلق بالآية من أسباب النزول ونحوها إلا أنها تذكر المعاني اللغوية الدقيقة للفظة القرآنية وهذه هي اللبنة الأولى لفهم المعنى الإجمالي للآية وهذه مرحلة مهمة لطالب التفسير.

٤ــ أن كتب الغريب تركز على فهم المعنى دون الاستطراد في المسائل الأخرى، فيستفيد منها طالب العلم سرعة الوصول وسهولة الفهم دون أن يدخل في مشكلات تحتاج إلى سؤال واستفسار كمسائل الاعتقاد والكلام والقضايا الأخرى التي هي توسع في المعنى.

٥ــ مما تميزت به كتب الغريب أنها لا تذكر الخلافات في معنى اللفظ بل تذكر معنى واحداً في الغالب، فيكون مرحلة لقوة ضبط التفسير على معنى واحد، ثم ينتقل بعدها إلى كتب التفسير التي توسعت في نقل الأقوال.

---

(١) كما فعل السمين الحلبي في كتابه عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ في استدراكه على الراغب من قوله: (قد أغفل في كتابه ألفاظاً كثيرة؛ لم يتكلم عليها، ولا أشار في تصنيفه إليها، مع شدة الحاجة إلى معرفتها، وشرح معناها، ولغتها) ثم أورد بعض المواد التي أغفلها الراغب رحمهما الله ص ٣٨-٣٩.

المبحث الثاني

تفسير غريب القرآن لابن قتيبة

تمهيد :

اعتبرت تفسير غريب القرآن لابن قتيبة أنموذجاً لكتب الغريب؛ لتقدمه في التأليف أولاً، ولكونه -حسب تقديري- سلك المنهج الوسط في بيان معاني غريب القرآن عند مقارنته بكتب الغريب الأخرى، مع ما فيه من ميزات أخرى، وله كتاب قبله وهو: تأويل مشكل القرآن، فجاء كتاب غريب القرآن كالمختصر لكتاب تأويل مشكل القرآن[١]، مع أن كلا الكتابين اتصفا بالاعتدال وعدم الإسهاب في بيان المعاني[٢].

وابن قتيبة: هو أبو محمد، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المروزي الكاتب صاحب التصانيف، ولد سنة ٢١٣هـ، وسكن بغداد، وولي قضاء الدينور، كان من الثقات ومن أهل السنة، أخذ عن علماء عصره، كإسحاق بن راهويه، والسجستاني، واشتغل بالتدريس، له عدة مصنفات منها غريب القرآن، وغريب الحديث، وأدب الكاتب، وعيون الأخبار، وغيرها[٣]. اتصف أكثرها بالإيجاز، ففي تفسير غريب القرآن لم يستطرد في بيان اختلاف العلماء وذكر الأسانيد، ولم يذكر من الشواهد إلا أهمها، وأغفل جوانب النحو والإعراب في الغالب[٤]، وكان ثقة فاضلاً ديناً، توفي سنة ٢٧٦هـ[٥].

---

(١) فتراه يحيل على كتابه: تأويل مشكل القرآن كثيراً، انظر: تفسير غريب القرآن ص ٤٣، ٤٤، ويشرح أكثر في كتاب تأويل مشكل القرآن، انظر: تأويل مشكل القرآن ص ١٤٦، ١٦٤.

(٢) انظر مقدمة محقق تفسير غريب القرآن، أحمد صقر، ص-أ-، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

(٣) سير أعلام النبلاء، ٢٩٧/١٣.

(٤) مقدمة المحقق، ص-ب-.

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء ١٣/ ٢٩٦، لسان الميزان ٤٣٩/٣.

المطلب الأول

مصادره في فهم القرآن

اعتمد ابن قتيبة على مصادر التفسير الأصلية، ومنها:

١ــ تفسير القرآن بالقرآن، وأعطاه ابن قتيبة اهتماماً كبيراً كما في تفسير قوله تعالى: [وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ] {البقرة:١٥} قال ابن قتيبة: (أي: في عتوهم وتكبرهم، ومنه قوله: [إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ] {الحاقَّة:١١} أي: علا)[١].

وغيرها كثير حتى وصل أنه استشهد في كتابه غريب القرآن بـ (٢٩٠) آية من (١١١) سورة.

٢ــ تفسير القرآن بالسنة، وهي المصدر الثاني للتشريع وقد اهتم أيضاً بهذا المصدر كثيراً حتى بلغت استشهاداته بالحديث النبوي (٦٠) مرة في تفسيره، ومن ذلك:

أــ أنه يبين معنى الآية بالحديث النبوي، كما في قوله تعالى: [وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ] {البقرة:١٨٨} يقول ابن قتيبة: (هو مثل قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "فمن قضيت له بشيءٍ من حق أخيه فلا يأخذه، فإنَّما أقطع له قطعة من النَّار"[٢])[٣]. فجاء بالحديث لتوضيح معنى الآية وليزيل الإشكال في دفع المال لأجل الظلم وأخذ ما ليس له به حق.

ب ــ ويؤكد المعنى بالحديث ليعضد قوله وهذا كثير، كما في قوله تعالى: [فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ] {الأنعام:١٤} يذكر قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "كلُّ مولودٍ يُولَدُ على الفِطْرَة"[٤] أي: ابتداء الخلق[٥].

---

(١) تفسير غريب القرآن ص ٤١.

(٢) أخرجه البخاري (٦٩٦٧) في كتاب الحيل، باب فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً من حديث أم سلمة.

(٣) تفسير غريب القرآن ص٧٥.

(٤) أخرجه البخاري (١٣٨٥) كتاب الجنائز.

(٥) تفسير غريب القرآن ص١٥١.

وكما في قوله تعالى: [فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ] {الواقعة:٢٨} يقول: (أي لا شوك فيه، كأنه خضد شوكه أي قطع، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم -في المدينة-: "لا يُخْضَدُ شَوْكُها، ولا يُعْضَدُ شَجَرُها"[١])[٢].

فرجوعه للحديث دعم للمعنى اللغوي من مصدرين هما القرآن والسنة، ويقتصر في الحديث غالباً على الشاهد الذي يخدم التفسير فقط.

ج ــ ويرجح بين الأقوال بالحديث النبوي، كما في قوله تعالى: [فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى] {النَّجم:٩} يقول ابن قتيبة: (أي قدر قوسين عربيين، وقال قوم القوس: الذراع أي كان ما بينهما قدر ذراعين، والتفسير الأول أعجب إلي، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "لقاب قوس أحدكم من الجنة أو موضع قده، خير من الدنيا وما فيها"[٣]، والقد، السوط)[٤].

٣ــ تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين، فقد اعتمد ابن قتيبة في كتابه تفسير غريب القرآن على الأقوال المأثورة، فأورد منها ما يعينه في شرح الغريب وتفسيره، ومن ذلك استشهاده بقول عثمان رضي الله عنه في تفسير لفظ الأماني في قوله تعالى: [وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ] {البقرة:٧٨} فقال: (ومنه قول عثمان رضي الله عنه: ما تغنيت ولا تمنيت. أي: ما اختلقت الباطل) وغيره[٥].

٤ــ تفسير القرآن باللغة، من خلال كتب اللغة، والشواهد الشعرية، وهذا المصدر يعد أساساً في تفسير ابن قتيبة لترجيح ما يذهب إليه، وهذا منهج اتبعه من كتب في معاني القرآن، فظهرت عنايته في الشعر كثيراً؛ كما في قوله تعالى: [وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ] {المطَّففين:٢٧} قال ابن قتيبة: (أي من علوٍّ، وأصل هذا من سنام البعير، ومنه تسنيم القبور، وهذا أعجب إليّ، لقول المسيب بن علس في وصف امرأة:

---

(١) أخرجه البخاري (١٥٨٧) كتاب الحج باب لا يعضد شوكه.

(٢) تفسير غريب القرآن ص١٥١.

(٣) أخرجه البخاري (٢٧٩٣) كتاب الجهاد والسير.

(٤) تفسير غريب القرآن ص٤٢٨.

(٥) تفسير غريب القرآن ص٥٥، وقول عثمان في النهاية لابن الأثير ٣٦٧/٤. وانظر أمثلة أخرى: ص٢٦٤، ٤٩١.

كـــأَنَّ بريقَتِها للْمَزاجِ من ثَلْج تَسْنيمٍ شِيبَتْ عَقَارا

يريد جبلاً). وغير هذا كثير[١].

وأورد ابن قتيبة في تفسيره كثيراً من أقوال العرب في بيانه وشرحه للغريب[٢].

وهذه الأقوال المأثورة والأمثال المسرودة معينة في فهم مراده من بيان معنى اللفظ، أو توضيح شرحه وتأكيداً لما يذهب إليه من معنى.

وقد وصلت استشهاداته بالأقوال والأمثـــال المـــأثورة عـــن العـــرب إلى (٥١) استشهاداً، واستشهد بأكثر من (١٠٠) بيت شعري لعدد من شعراء الطبقـــات الـــثلاث الأولى: الجاهليون كامرئ القيس ولبيد والأعشى وغيرهـــم، والمخـــضرمون كالأخطـــل والخنساء، والأمويون كعروة الليثي وذي الرمة، فكان تركيزه على الاستشهاد بالـــشعراء المتقدمين، مع أنه توسع في مواضع بالأقوال والشعر فلم ينسبها لقائلها؛ وهذا منهج متبـــع عند بعض أهل اللغة خاصة الكوفيين ولابن قتيبة انتماء لهم.

٥ـــ كتب التفاسير السابقة، فقد استنبط من كتب المفسرين ممن سبقه أو عاصره؛ كتفسير أبي عبيدة، و تفسير الطبري، وغيرها.

يقول ابن قتيبة في مقدمته: (وكتابنا هذا مستنبط من كتب المفـــسرين، وكتـــب أصحاب اللغة العالمين، لم نخرج فيه عن مذهبهم، ولا تكلفنا في شيء منـــه بآرائنـــا غـــير معانيهم، بعد اختيارنا في الحرف أولى الأقاويل في اللغة، وأشبهها بقصة الآية، ونبذنا منكر التأويل، ومنحول التفسير)[٣].

---

(١) انظر: استشهاده بالشعر ص٨، ١٣، ١٤، ٥٣، ١٣٣، ١٧٩، ٢٢٨، ٢٣١، ٢٧٣، ٤٣٥، ٤٦٨، ٥٠٩، ٥١٩، ومواطن غيرها كثير.

(٢) انظر: تفسير غريب القرآن ص٢٥، ٣٤، ٥٣، ١١٠، ١٢٠، ١٣١، ١٤٤، ١٦٣، ٢٠٩، ٢٢٦، وغيرها.

(٣) تفسير غريب القرآن في المقدمة.

المطلب الثاني

تقسميه وطريقته

تميز ابن قتيبة في كتابه بالتوسط والاعتدال في التفسير؛ فيفسر اللفظ حسب سياقه في الآية، ثم يبين أصله في اللغة دون إطالة، ويستشهد بالشعر عند الحاجة إلى بيان استعمال اللفظ عند العرب.

وقد كشف ابن قتيبة عن تقسيم كتابه في مقدمته حيث يقول: (نفتتح كتابنا هذا بذكر أسمائه الحسنى، وصفاته العلى، فنخبر بتأويلهما واشتقاقهما، ونتبع ذلك ألفاظاً كثر ترددها في الكتاب، لم نر بعض السور أولى بها من بعض ثم نبتدئ في تفسير غريب القرآن)[١].

فقسم كتابه كما يلي:

أولاً : المقدمة .

ثانياً : اشتقاق أسماء الله وصفاته، في خمسة عشر صفحة[٢].

ثالثاً : باب تأويل حروف كثرت في الكتاب وصلت عنده أربعين كلمة[٣].

رابعاً : تفسير الألفاظ الغريبة حسب ترتيب سور القرآن[٤].

طريقته في كل قسم من كتابه:

مع أنه سماه تفسيراً إلا أنه أراده سهلاً ميسراً ليستفيد منه عامة الناس، ووضع له منهجاً في مقدمته حيث قال: (وغرضنا الذي امتثلناه في كتابنا هذا أن نختصر ونكمل، وأن نوضح ونجمل، وأن لا نستشهد على اللفظ المبتذل، ولا نكثر الدلالة على الحرف المستعمل، وأن لا نحشو كتابنا بالنحو والحديث والأسانيد...)[٥].

---

(١) تفسير غريب القرآن في المقدمة.

(٢) تفسير غريب القرآن ص ٦-٢٠.

(٣) تفسير غريب القرآن ص ٢١-٣٧.

(٤) تفسير غريب القرآن ص ٣٨ إلى نهاية الكتاب.

(٥) تفسير غريب القرآن ص٣.

فهو بهذا اقتصر على معنى ما يرى أنه غريب في سياقه أو تركيبه ونحو ذلك، وترك ما ظهر معناه، وترك الاستطراد في ما يتعلق بالآية لكتب أخرى نحت هذا المنهج.

حيث قال: (فإنا لو فعلنا ذلك -يعني الحشو- في نقل الحديث، لاحتجنا إلى أن نأتي بتفسير السلف رحمة الله عليهم بعينه. ولو أتينا بتلك الألفاظ، كان كتابنا كسائر الكتب التي ألفها نقلة الحديث، ولو تكلفنا بعد اقتصاص اختلافهم، وتبيين معانيهم، وفتق جملهم بألفاظنا، وموضع الاختيار من ذلك الاختلاف، وإقامة الدلائل عليه، والإخبار عن العلة فيه؛ لأسهبنا في القول، وأطلنا الكتاب، وقطعنا منه طمع المتحفظ، وباعدناه من بغية المتأدب، وتكلفنا من نقل الحديث ما قد وقيناه وكفيناه)[1].

فكأنه يرغب أن يجعل كتابه مناسباً للحفظ لمن طمع بحفظه، ومن أراد الزيادة فقد كفي بنفيره وسيجد ما يريد.

ونخلص إلى أن طريقته على النحو الآتي:

١- المقدمة: وقد وضح فيها طريقته وهدفه من الكتاب بشكل مفصل.

٢- بعدها أفرد باباً لذكر اشتقاق أسماء الله وصفاته، وإظهار معانيها، وهي مما يكثر ترداده في القرآن.

أ - فيذكر اسم الله تعالى ثم الآية التي سمى الله فيها نفسه بذلك الاسم، ثم يذكر استعمالاته اللغوية، ويستشهد بنظائرها في القرآن وبكلام العرب، كما في قوله: (ومن صفاته السلام. قال تعالى: [السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ] {الحشر:٢٣}، ومنه سمي الرجل عبدالسلام كما يقال عبدالله.. ويرى أهل النظر -من أصحاب اللغة- أن السلام بمعنى السلامة؛ كما يقال: الرضاع والرضاعة واللذاذ واللذاذة. قال الشاعر:

تحيي بالسلامة أمُّ بكر فهل لكِ بعد قومكِ من سلام؟

ومنه يقال: السلام عليكم، يراد: اسم السلام عليكم، كما يقال اسم الله عليكم... ويسمى الصواب من القول سلاماً لأنه سلم من العيب والإثم)[2].

---

(١) تفسير غريب القرآن ص٣.

(٢) تفسير غريب القرآن ص٦-٧ بتصرف.

ويقول: (ومن صفاته الغفور، وهو من قولك غفرت الشيء إذا غطيته. كما يقال: كفرته إذا غطيته، ويقال: كذا أغفر من كذا، أي أستَر، وغَفْرُ الخز والصوف، ما علا فوق الثوب منها..)[١] إلخ.

ب ــ وفي بعض الصفات يذكر وزن الصفة وأصلها، كما في قوله: (ومن صفاته سُبُّوح، وهو حرف مبني على فُعُّول، من سبَّح الله، إذا نزهه وبرأه من كل عيب)[٢].

ج ــ توسع في ما يتعلق باسم: الرب، وبين جواز إطلاق الاسم على الخلق مع الشرح والتوضيح للمدلول، حيث يقول: (ومن صفاته الرب، والرب المالك، يقال: هذا رب الدار، ورب الضيعة، ورب الغلام: أي مالكه قال الله سبحانه: [ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ] {يوسف: ٥٠}، أي سَيِّدك، ولا يقال لمخلوق: هذا الرب معرفاً بالألف واللام، كما يقال: الله، إنما يقال: هذا رب كذا، فيعَرَّف بالإضافة، لأن الله مالك كل شيء، فإذا قيل: الرب دلّتْ الألف واللام على معنى العموم...)[٣].

ففرَّق بين دلالة اللفظ بناء على التعريف والتنكير ليدلل على أنه بالتعريف لا يوصف به إلا الله سبحانه وتعالى.

د ــ أفرد كلاماً لاشتقاق أسماء الله[٤]. وذكر أوزانها وما جاء على صيغتها الصرفية كفعيل بمعنى فاعل، وفعيل بمعنى مُفْعِل، وفعيل على لفظها.

هـ ــ وبعدها ذكر ما أضيف إلى الله مثل: كبرياء الله، جَدُّ الله، ومجد الله، وفضل الله، وحمد الله[٥].

و ــ ثم أشار إلى أمثلة لأسماء الله الحسنى، وبين معنى الإلحاد في أسماء الله وأمثلة له[٦].

---

(١) تفسير غريب القرآن ص١٤.

(٢) تفسير غريب القرآن ص٨.

(٣) تفسير غريب القرآن ص٩.

(٤) انظر: تفسير غريب القرآن ص١٨.

(٥) انظر: تفسير غريب القرآن ص١٩.

(٦) انظر: تفسير غريب القرآن ص٢٠.

٣ــ ثم قال: باب تأويل حروف كثرت في الكتاب، يريد الكلمات التي وردت في القرآن كثيراً لأنه لم ير أن بعض السور أولى بها من بعض فجمعها في هذا الباب، وذكر أربعين كلمة، مثل: الجن والإنس، والثقلان، والملائكة، وإبليس، والكفر، والنفاق، والعدوان، ونحوها، وكل كلمة يبين معناها في سطرين أو أكثر، مبيناً أصلها اللغوي ثم ما يشهد له من أقوال العرب ويذكر النظائر[١].

كما في قوله: (الملائكة: من الألوك. وهي الرسالة. وهي المألُكَة والمألَكَة، ومنه قالت الشعراء: أَلِكْني أي: أرسلني، وبمعنى كن رسولي، واحدهم: ملك -بترك الهمزة- لكيرة ما يجري في الكلام، الهمزة في الجمع مؤخرة لأنهم رسل الله)[٢].

٤ــ ثم ابتدأ في تفسير غريب القرآن بدأ بسورة الحمد فالبقرة فآل عمران وهكذا حتى آخر سورة الناس، وعند النظر في تفسيره للألفاظ نضع المعالم الآتية:

أ ــ قلة الكلمات المختارة مع الشرح المعتدل، فابن قتيبة ذكر كلمات يسيرة حسب اجتهاده في أنها من الغريب فاقتصر في سورة الحمد على ثمان كلمات، في صفحة واحدة، يذكر خلاصة معنى اللفظ بكلمة أو كلمتين دون تفصيل، وأحياناً يعلل التفسير، ويذكر أمثالها في القرآن.

كما في قوله: (يوم الدين: يوم القيامة، سمي بذلك لأنه يوم الجزاء والحساب)[٣]، وقوله: (الصراط: الطريق، ومثله: [وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ] {الأنعام:١٥٣}، ومثله: [وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ] {الشُّورى:٥٢})[٤].

ولعله بهذا الاختصار يحقق هدفه بتسهيل حفظه لمن أراد ذلك، وذكر القاعدة الأساسية في التفسير.

ب/ الاقتصار على الغريب وترك المشكل في القرآن؛ لأنه أفرده في كتاب مستقل حيث يقول: (دون مشكله، إذ كنا قد أفردنا للمشكل كتاباً جامعاً كافياً)[٥].

---

(١) انظر: تفسير غريب القرآن ص٢١ وما بعدها.

(٢) تفسير غريب القرآن ص٢٣.

(٣) تفسير غريب القرآن ص ٣٨.

(٤) تفسير غريب القرآن ص ٣٨.

(٥) تفسير غريب القرآن ص ٣.

وهذا منهجه الذي اعتمده، وهو تيسير لفهم التفسير دون دخول في مشكلاته، ولذا نراه يحيل كثيراً على كتابه المشكل[١].

ج ــ الاهتمام بالقراءات، فقد ذكر ابن قتيبة في كتابه تفسير غريب القرآن عدداً من أوجه القراءات التي تتعلق باللغة أو تزيد فهم الآية، كما في قوله تعالى: [كَيْفَ نُنْشِزُهَا] {البقرة:٢٥٩} قال: (فإنها بالراء والزاي، فيكون معناها بالراء نحييها، وبالزاي، نحرك بعضها إلى بعض ونزعجه، ومنه يقال: نشز الشيء، ونشزت المرأة على زوجها)[٢].

وفي قوله تعالى: [وَمَا هُوَ عَلَى الغَيْبِ بِضَنِينٍ] {التكوير:٢٤} قال: (بالضاد والظاء، فتكون بالظاء بمعنى متهم بما يخبر به، وبالضاد بمعنى البخل، ليس بخيلاً في ما ينفعكم. وكلا القراءتين متواتر عند علماء القراءات والقراء[٣]، ومشهورة عند قراء الأمصار)[٤]، ولكلٍ وجه في التفسير وهو ما أشار إليه في مكانه.

وقد أكثر من الاستشهاد بالقراءات القرآنية[٥]، واعتنى بذلك[٦]، وهي -كما لا يخفى- مما يعين على فهم الآية، فالقراءة بمنزلة آية أخرى، وفيها زيادة توضيح المعنى بأساليب متنوعة.

د ــ التنبيه على مواضع الوقف والابتداء، وهذا له أهمية كبرى في فهم المعنى؛ كما في قوله: [خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ] {البقرة:٧} ثم قال عز وجل: [وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ] {البقرة:٧} قال ابن قتيبة: (ابتداء، وتمام الكلام الأول عند قوله: [وَعَلَى سَمْعِهِمْ] {البقرة:٧})[٧].

---

(١) انظر: تفسير غريب القرآن ص ٤٤، ٤٨، ٥٠.

(٢) تفسير غريب القرآن ص٩٥، وهي قراءة متواترة، انظر: النشر في القراءات العشر ٢/٢٣١.

(٣) انظر: النشر في القراءات العشر ٢/٣٩٨.

(٤) تفسير غريب القرآن ص٥١٧.

(٥) انظر: استشهاده بالقراءات القرآنية، تفسير غريب القرآن ص٤٦، ١٠٤، ١٥٧، ٢٨١، ٢٩٩، ٣٣٨، ٣٥٧، ٣٩٧، ٤٠٠، ٤١٨، ٤٩٣.

(٦) انظر: منهج ابن قتيبة في كتابيه تأويل مشكل القرآن وتفسير غريب القرآن د. يونس حمش خلف. وانظر: تأويل مشكل القرآن ص٤٢.

(٧) تفسير غريب القرآن ص٤٠.

وهذا البيان مهم جدا في بيان المعنى، فالوقف والابتداء الصحيح هو في نفس الأمر تفسير في القراءة.

هـ ـ بيان الأولى عند تعداد المعاني في الألفاظ؛ بناء على السياق أو اللغة أو الشعر أو غيره من المرجحات، كما في قوله تعالى: [وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ(٦٥) فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ] {البقرة:٦٥، ٦٦} يقول ابن قتيبة: (أي: قرية أصحاب السبت، نكالاً: أي عبرة لما بين يديها من القرى، وما خلفها ليتعظوا بها، ويقال: لما بين يديها: من ذنوبهم، وما خلفها: من صيدهم الحيتان في السبت، وهي قول قتادة، والأول أعجب إلي)[١].

وقد أكثر الإمام الطبري في تفسيره من الترجيح بهذا الأسلوب، فيقول: (وأولى الأقوال بالصواب كذا وكذا)[٢]، ونحوه.

والطبري من معاصريه فلعله تأثر بابن قتيبة في هذه الطريقة رحمهما الله جميعاً.

وفي الترجيح في مثل هذا الكتاب المختصر -وعند تقارب الأقوال خاصة- زيادة تأكيد على فهم النص حسب البحث والتحقيق عند المؤلف.

و ـ الإشارة المختصرة جداً لبعض أسباب النزول، فيذكرها بعبارة أو عبارتين، وترك الكثير من الأسباب، كما في سورة المجادلة قال: (ويروى أنها نزلت في رجل ظاهر فذكر الله قصته)[٣]. ولعله اعتمد على معرفة القارئ لها، وتحقيقاً لهدفه في الاختصار، واقتصاره على ما يعين على فهم الآية لأن قصده بيان الغريب فقط.

---

(١) تفسير غريب القرآن ص٥٢، وانظر: ص٢٦٤، ٣٢٨، ٤٢٨، ٥٢٠، في إيراده الجملة نفسها في ترجيحه القول الأصوب والأقرب.

(٢) انظر: تفسير الطبري ٩/٢٥٠، ١٠/٩٥.

(٣) تفسير غريب القرآن ص٤٥٦.

المطلب الثالث

أثره في فهم القرآن

كان لتفسير غريب القرآن لابن قتيبة الأثر الكبير في فهم القرآن لأمور منها:

١ــ المنهج الوسط والطريقة الواضحة، والاقتصار على ما يرى الحاجة إلى توضيحه، ثم يحيل إلى كتابه: تأويل مشكل القرآن لما يحتاج إلى تطويل.

٢ــ القيمة العلمية للتفسير حيث جمع العلوم اللغوية والنحوية والشرعية من إمام بارع في جميع هذه الفنون.

٣ــ اقتصاره على قوله واحد وتجنب الغوص في الخلافات النحوية والقراءات القرآنية والمشكلات اللغوية وهذا تيسير وتسهيل للوصول إلى زبدة التفسير وأهم ما فيه.

٤ــ الترجيح بين الأقوال عند الاختلاف؛ والترجيح من إمام متقدم له أهمية كبيرة عند العلماء.

٥ــ الاستشهاد كثيراً بأقوال السلف في بيان غريب القرآن، وكلام أهل اللغة، وشواهد الشعر عند العرب.

٦ــ تناول ابن قتيبة دراسة المفردات القرآنية غالباً في سياقها من خلال تراكيبها، ولا يتناولها مفردة إلا قليلاً، وهذه الطريقة جمعت بين التفسير بالسياق ومراعاة المصطلح.

٧ــ الاهتمام بمواضع الوقف والابتداء، وهذا تفسير عملي لكلام الله جل وعلا، مما يؤدي إلى فهم معاني القرآن من خلال القراءة فحسب.

الخاتمـــــة

وختاماً أحمد الله جل وعلا على ما يسر في هذا البحث، حيث تناول كتب غريب القــرآن وأثرها في فهم كلام الله تعالى، وقد توصلت إلى النتائج الآتية:

١ــ أن الكلام في غريب القرآن بدأ في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وقت نزول القرآن وإن لم يسم بهذا المصطلح في وقته، ثم استمر الصحابة على بيــان الغريــب والاستــشهاد بالشعر وكلام العرب، ثم تطور الأمر حتى وصل عصر التأليف والتــدوين ولا يــزال ولله الحمد.

٢ــ أن كتب غريب القرآن هي اللبنة الأولى لفهم كلام الله تعالى، وهي الوســيلة الأولى لتدبره، ولذا يجب على المفسر معرفة الغريب، أو التوقف عن التفسير كمــا هــو منــهج السلف رحمهم الله لإدراكهم خطر القول فيه بلا علم.

٣ــ أن الغرابة في ألفاظ القرآن نسبية بين العلماء الذين ألفوا في غريب القرآن، ولذا فلا يلام أحد عند إغفاله بعض الكلمات الموجودة عند غيره.

٤ــ أن غرابة اللفظ تزول بتتبع استعمالاته في القرآن ثم بالنظر إلى الناحية اللغوية.

٥ــ تعتبر كتب الغريب جزء من كتب المعاني فهما مكملان لبعض، بل إن بعض المــؤلفين توسع في المصطلح فلم يفرق بينهما، واعتبر توسع كتب المعاني حسب اجتهاد المؤلف في عدّ اللفظ الغريب وإن لم يعده غيره غريباً.

٦ــ عدم الاختلاف الكثير بين كتب الغريب في دلالات الألفاظ إلا ما كان منــها اهــتم بالجوانب النحوية ومشكلات الإعراب.

٧ــ اختلفت مناهج المؤلفين في غريب القرآن في الطول والقصر، وفي طريقــة الترتيــب، وعلى المستفيد أن يعرف طريقة المؤلف ليصل إلى اللفظ المطلوب بسهولة.

٨ــ أن لكتب الغريب الأثر الكبير في فهم القرآن لأنها جاءت على معنى واحد خالية من الاستطراد في الخلافات والمشكلات، ولاشتمالها على أهم الكلمات التي قد يغيب معناهــا على القارئ، وضبطها يسهل ما بعدها، وبها يتجمّع المعنى الإجمالي للآية، وهذه مرحلة مهمة لأهل التفسير، وللمبتدئين خصيصاً.

٩ــ أن كتب الغريب بدأت صغيرة ثم كبرت شيئاً فشيئاً لزيادة الحاجة إلى بيان معاني ألفاظٍ أكثر، مما دعا المؤلفين إلى التأليف والتوسع فيه.

١٠ــ اعتمد ابن قتيبة على مصادر التفسير الأصلية فاحتج بالقرآن والسنة وأقوال السلف وكلام العرب وأئمة التفسير.

١١ــ ظهرت في تفسير غريب القرآن شخصية ابن قتيبة اللغوية وسعة اطلاعه وسلامة منهجه.

١٢ــ تميز تفسيره بالاختصار والتوضيح دون خروج عن المقصود.

١٣ــ لم يقتصر ابن قتيبة في تفسيره على النقل المجرد بل زينه بالتدقيق والترجيح.

١٤ــ مما زاد تفسير ابن قتيبة للغريب قوة كثرة الشواهد الحديثية والشعرية والأقوال العلمية التي تدل تمكنه من علمه وفهمه.

١٥ــ أن كتاب تفسير غريب القرآن لابن قتيبة يعتبر نموذجاً متميزاً لكتب غريب القرآن فقد جمع بين منهج التفسير اللغوي والتفسير السياقي في عرض متوسط معتدل بين الكتب المؤلفة في هذا الباب، والله أعلم.

وعليه؛ فأهم التوصيات التي أسجلها هنا:

١ــ العناية بدراسة مناهج المؤلفين في غريب القرآن، وإتاحتها للباحثين عبر الرسائل العالية، والمؤتمرات العلمية.

٢ــ توجيه الباحثين للتأليف في غريب القرآن حسب سياق الآيات كما كان اهتمام ابن قتيبة بهذا في كتابه كثيراً.

أسأل الله جل وعلا أن أكون قد وفقت في تقديم ما أردت أحسن مما أردت، كما أسأله سبحانه أن يغفر لنا الزلل والتقصير، وأن يجزي كل من استفدت منه خير الجزاء، وأن يرزقنا حسن القول والعمل إنه جواد كريم، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

ثبت المراجع

١ــ الإتقان في علوم القرآن – للسيوطي – تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم –ط٣ نشر: دار التراث بمصر.

٢ــ الأعلام – لخير الدين الزركلي –ط٥– دار العلم للملايين ببيروت.

٣ــ البرهان في علوم القرآن – للزركشي – تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم – نشر: دار التراث بمصر.

٤ــ بهجة الأريب في بيان ما في كتاب الله العزيز من الغريب – لابن التركماني تحقيق: د/ محمد رياض كريم – مط. التركي بطنطا: ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

٥ــ تأويل مشكل القرآن –لابن قتيبة– ط١– نشر: دار الكتب العلمية بيروت ١٤٢٣هـ.

٦ــ تاريخ التراث العربي – د. محمد فؤاد سزكين – ترجمة: د. محمود فهمي حجازي، و د. فهمي أبو الفضل – نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب: ١٩٧٧م.

٧ــ التبيان في غريب القرآن – لابن الهائم – تحقيق: د. فتحي الدابولي – نشر: دار الصحابة للتراث بطنطا: ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

٨ــ تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنة – للدكتور عبد العزيز الحميدي – نشر: جامعة أم القرى.

٩ــ تفسير القرآن العظيم –لابن كثير– تحقيق: سامي السلامة –دار طيبة بالرياض: ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

١٠ــ التفسير اللغوي للقرآن الكريم –للأستاذ الدكتور مساعد الطيار – نشر: دار ابن الجوزي ١٤٢٢هـ.

١١ــ تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب – لأبي حيان الأندلسي تحقيق: سمير المجذوب – نشر: المكتب الإسلامي: ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م.

١٢ــ تفسير غريب القرآن – لابن قتيبة – تحقيق: السيد أحمد صقر – دار الكتب العلمية ببيروت: ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

١٣ــ تفسير القرآن العظيم – لابن كثير – تحقيق: سامي السلامة – دار طيبة بالرياض ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

١٤ــ تفسير المشكل من غريب القرآن – لمكي بن أبي طالب – تحقيق: د.علي حسين البواب – نشر: مكتبة المعارف بالرياض: ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.

١٥ــ التفسير والمفسرون – لمحمد بن حسين الذهبي–ط٦– نشر: مكتبة وهبة بالقاهرة ١٤١٦هـ.

١٦ــ تنوير المقباس من تفسير ابن عباس – على هامش مصحف شريف – نشر: دار الكتب العلمية ببيروت.

١٧ــ جامع البيان عن تأويل القرآن – للطبري – ط. الأميرية بمصر.

١٨ــ الجامع الصحيح –للبخاري –ط١– نشر: دار الشعب بالقاهرة: ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

١٩ــ الجامع لأحكام القرآن – للقرطبي – تحقيق: محمد إبراهيم الحفناوي – نشر: دار الحديث بالقاهرة .

٢٠ــ سير أعلام النبلاء – للذهبي – تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، ومأمون صاغرجي – مؤسسة الرسالة ببيروت: ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٢١ــ صحيح مسلم –لمسلم بن الحجاج النيسابوري– تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، نشر دار إحياء التراث العربي بيروت.

٢٢ــ طبقات المفسرين – للداوودي – تحقيق: علي محمد عمر – نشر: مكتبة وهبه بالقاهرة: ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م .

٢٣ــ عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ – للسمين الحلبي – تحقيق: محمد باسل عيون السود دار الكتب العلمية ببيروت: ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

٢٤ــ العمدة في غريب القرآن – لمكي بن أبي طالب – تحقيق: د.يوسف المرعشلي نشر: مؤسسة الرسالة ببيروت – ط٢: ١٤٠٤هـ /١٩٨٤م.

٢٥ــ الغريبين في القرآن والحديث - لأبي عبيد الهروي (أحمد بن محمد) - تحقيق: أحمد فريد المزيدي - نشر: مكتبة الباز بمكة المكرمة: ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

٢٦ــ فتح الباري - لابن حجر العسقلاني - بإشراف الشيخ عبد العزيز بن باز - دار الفكر ببيروت: ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.

الفهرست - لابن النديم - نشر: د ار المعرفة ببيروت.

٢٧ــ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون - لحاجي خليفه - نشر: دار الفكر ١٤٠٢هـ /١٩٨٢م .

٢٨ــ لسان العرب - لابن منظور المصري.

٢٩ــ لسان الميزان - لابن حجر العسقلاني - تحقيق: عادل أحمد وآخرون - دار الكتب العلمية ببيروت: ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.

٣٠ــ مجاز القرآن - لأبي عبيدة-تحقيق: د.محمد فؤاد سزكين-مكتبة الخانجي بمصر.

٣١ــ مسائل نافع بن الأزرق عن عبدالله بن عباس تحقيق: د. محمد أحمد الدالي ط١ ١٤١٣هـ.

٣٢ــ معاجم غريب القرآن مناهجها أنواعها -للدكتور: عوض بن حمد القوزي - نشر: مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق.

٣٣ــ معاجم معاني ألفاظ القرآن الكريم -أ.د فوزي يوسف الهابط. ضمن بحوث ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم.

٣٤ــ معاني القرآن وإعرابه - للزجاج - تحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي - ط١- عالم الكتب ببيروت: ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٣٥ــ المعجم العربي: نشأته وتطوره - د. حسين نصار - ط٢ - نشر: دار مصر للطباعة.

٣٦ــ معجم غريب القرآن - محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء الكتب العربية - ط٢ ١٣٧٠/١٩٥٠م.

٣٧ــ معجم المؤلفين-عمر رضا كحالة - دار إحياء التراث العربي، ومكتبة المثنى ببيروت.

٣٨ـ معجم مصنفات القرآن الكريم - د. علي شواخ إسحاق - دار الرفاعي بالرياض ط١: ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .

٣٩ـ مفردات ألفاظ القرآن - للراغب الأصفهاني - تحقيق: صفوان داوودي - ط١ دار القلم بدمشق، والدار الشامية ببيروت: ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .

٤٠ـ مقدمة في أصول التفسير -لابن تيمية- نشر: دار مكتبة الحياة، بيروت ١٤٩٠هـ/ ١٩٨٠م.

٤١ـ منهج ابن قتيبة في كتابيه تأويل مشكل القرآن وتفسير غريب القرآن -للدكتور يونس حمش خلف.

٤٢ـ النشر في القراءات العشر -لأبي الخير محمد بن محمد- دار الكتب العلمية بيروت.

٤٣ـ النهاية في غريب الحديث - لابن الأثير - تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي نشر : المكتبة العلمية بيروت ١٣٩٩هـ.

٤٤ـ الوافي بالوفيات - للصفدي - تحقيق: س.ديدرنج - نشر: فرانز شتاير بفسبادن: ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م .

٤٥ـ هدية العارفين: أسماء الكتب والمؤلفين - للبغدادي - ط. إسطنبول: ١٩٤٥م